محمد بن عبد الله الجبلي الباطني

للدكتور جواد علي

اتخذت محمد بن عبد الله (أو عبدون) الجبلي موضوعاً لحديثي ، لأن الجبلي من الشخصيات الفذة التي يجب أن تدرس ويجب أن تقرأ ويجب أن يذكر عنها شيء، وذلك بالرغم من إهمال المؤرخين والمترجمين شأن هذا الفيلسوف وغضهم النظر عنه ؛ فلم يذكروه إلا عرضاً ولم يحفلوا به إلا قليلاً ، وبالرغم من إعراض قومه وهم سكان الأندلس وعرب الغرب عنه وإغفالهم أمره لسبب كانوا يذكرونه بمرارة عنه ، وحقد قديم كان قد علق في قلوبهم ضد فيلسوفهم؛ ذلك لأنه كان يدين بعقيدة تختلف نوعاً ما عن عقيدتهم ، ويقدس فيلسوفاً أعجمياً غريباً تقديساً يكاد يصل حدود الغلو والإغراق ؛ وهذا ما كان يزعجهم ويؤذيهم[1]

وكان هذا الفيلسوف الأعجمي الغريب الذي قدسه محمد ابن عبد الله بن ميسرة (مسرة) ابن نجيح القرطبي[2] هو الفيلسوف اليوناني بندقليس أو أبيذقليس أحد فلاسفة اليونان القدماء وأول الفلاسفة الخمسة الذين وضعهم العرب في قائمة الحكماء اليونانيين الممتازين[3] وقد ميّز هؤلاء عن بقية الفلاسفة بنعوت تدل على مقدار تقدير العرب لهم وإعجابهم بهم . نعتوهم مرة (بالحكماء الخمسة) ونعتوهم أخرى (بأساطين الحكمة[4]) . سلكوا في ذلك سبيل اليونانيين ونهجهم . وكان اليونان قد اختاروا قديماً سبعة أشخاص الفلاسفة القدماء لقبوهم « بالحكماء السبعة » وأسبغوا عليهم صفات في العلم والاطلاع والحكمة تكاد ترفعهم من صفوف البشر إلى صفوف سكان السموات[5]

وقد ميز العرب أيضاً بين هؤلاء الحكماء فجعلوا أفلاطون مثلاً رئيساً على الحكماء الإشراقيين[6] . وجعلوا أرسطو زعيماً على رأس الفلاسفة المشائين المعروفين[7] . وأحاطوا هؤلاء الفلاسفة الحكماء بهالة من التقديس والتعظيم ، وزادوا على زمان بعضهم أزمنة ليزيدوا على رأيهم في كثير من المسائل التي تستهويهم تعظيماً وفي شأنهم شأناً، فقالوا عن بندقليس مثلاً إنه كان في زمان داود النبي، وأنه أخذ الحكمة عن لقمان بالشام، إلى أمثال ذلك من روايات[8] . ولعل مصدر ذلك الكتب التي دونها أتباع مذهب هذا الفيلسوف والتي وجدت لها سبيلاً إلى اللغة العربية ، والذين كانوا لا يكتفون بالمبالغات عن زعيمهم بل نسبوا إلى زعيمهم المعجزات والكرامات والقدسية الإلهية ، وقالوا بأن أرواح الآلهة حلت فيه[9]

وكان صاحبنا محمد بن عبد الله الجبلي الباطني كلفا بفلسفة بندقليس دؤوباً على دراستها ملازماً لها مجاهراً بغرامه العلمي هذا ، فاتهمه أبناء قومه لذلك بالزندقة والإلحاد ، وغضبوا عليه حتى اضطر إلى الخروج إلى المشرق فارّا سنة سبع وأربعين وثلثمائة (٩٥٨م) ودخل البصرة ومصر ودير مارستانيهما وتمهّر في الطب ونبل فيه، وأحكم كثيراً من أصوله، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة[10] واشتغل بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام

(١) راجع طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي طبعة بيروت سنة ١٩١٢ ص ٢١ وأخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطي ص ١٣

(٢) كذا ورد في أخبار الحكماء ص ١٣ طبعة مصر مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ وورد في كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي في المتن محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي الباطني ص ٢١ وورد محمد بن عبدون الجبلي في ص ٨١ من نفس الكتاب ؛ وورد في كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٦ محمد بن عبد الله بن مرة الجبلي راجع أيضاً الحاشية رقم ١١ من ص ٢١ من طبقات الأمم

(٣) وهو الفيلسوف اليوناني بندقليس أو أبيذقليس وورد أيضاً أنبادقليس راجع طبقات الأمم ص ٢١ وكتب الفلسفة القديمة . وهو الفيلسوف اليوناني المثلي المعروف Empedokles عاش بين عام ٤٩٠ وعام ٤٣٠ الميلاديين وكان له أتباع يحترمونه كثيراً ويقدسونه إلى درجة البودية ويعتقدون بمعجزاته وبتناسخ الأرواح . وله أشعار قالها لأغراض تعليمية منها مجموعة يطلق عليها اسم Physika تبحث في الفلسفة التعليمية وأخرى تعرف باسم Kathirmoi راجع عنه كتاب الأستاذ كافكا Kafka وعنوانه : Zur. Physik des E. in Philologus J. G. 78 1923

(١) طبقات الأمم ص ٢١ وابن القفطي ص ١٣ وابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٣٦ F

(٢) راجع H. Diels. Fargmente der Vorsok Rutiker. Bd. 2. 4. a. 1922

(٣) اصطلاحات الشريف الجرجاني ص ٦٣

(٤) مصطلحات الجرجاني ص ٦٣

(٥) راجع طبقات الأمم ص ٢١ وأخبار الحكماء ص ١٢ وراجع الكتب التي تبحث عن أخبار الأولين

(٦) راجع Schmidt. Philosophi. Wörterbuch. S و 148.

(٧) راجع طبقات الأمم ص ٨١

واتصل بأساطين هذه المواضيع ؛ وهذا ما زاد فى قوة علم صاحبنا قوة وفى منطقه فصاحة وبلاغة[1]

ذهب أصحاب بنديقليس مذهب الفيثاغورثيين فى المدد وفى الرموز والإشارات وتناسخ الأرواح . حولوا الفلسفة من فلسفة ظاهرة واضحة ذات قواعد معينة إلى فلسفة ورموز وإشارات وأسرار دينية [2] فانتقلت هذه الفلسفة من الفيثاغورثيين إلى المسلمين فظهرت فلسفة قائمة بذاتها اعتقدها جماعة من المسلمين حتى العصور المتأخرة[3] واكتسبت صبغة خاصة دينية لدى جماعة «الحروفية» من المسلمين[4] . ونظراً لغموض تعاليمهم الفلسفية هذه أطلق عليهم اسم « الباطنية » أيضاً وهم غير الباطنية المعروفين الذين كان منهم الاسماعيلية ، وإلى الباطنية الفلسفية نسب صاحبنا محمد بن عبد الله الجيلي

اتصل محمد بن عبد الله أثناء إقامته ببغداد بشخصية كبيرة من شخصيات العلم فى العراق هى شخصية محمد بن طاهر أبى سليمان ابن بهرام السجستانى البغدادى، وهى شخصية كبيرة ذات مركز مهم خطير فى عالم المنطق والجدل . فاستفاد الباطنى منه كثيراً وتعلم من هذا الأستاذ فن الإقناع والتأثير فى الجمهور والقدرة على البحث فى شتى المواضيع المتنوعة ، وكانت له قابلية عجيبة على التأثير فى المستمعين : له لسان خلاب يتوصل به إلى حرارة، وقابلية عجيبة على إبداء الحجج والإقناع . فلما عاد إلى وطنه الأندلس أظهر النسك والورع والتقوى واغتر الناس بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه وتكونت له جماعة التفت حوله ودانت بعقيدته وظلت تلازمه وتجتمع به سراً حتى توفى ١٥١)[5]

حمل الجيلى إلى الأندلس منطق السجستانى وقواعد أهل العراق فى الجدل والمناظرة ، وقد جدد بذلك ما كان قد بدأ به محمد ابن إسماعيل المعروف بالحكيم[1] ، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدى ، وهو صاحب تأليف مشهور لدى أهل الأندلس فى اختصار الكتب الثمانية فى المنطق[2] ، وعلى بن أحمد بن حزم وكان من أهم أركان هذه الحركة فى الأندلس فقد انصرف هذا العالم هو وابنه من بعده خاصة إلى المنطق دون سائر الفلسفة[3] إلا أن هذه الحركة لم تكن مستقلة كتلك الحركة التى ظهرت فى الشرق ولم تكن قوية . كان عماد منطق أهل الأندلس على منطق أهل العراق وعلى الأخص منطق السجستانى ومنطق متى ابن يونس[4] والفارابى وأمثالهم من زعماء هذه الزمرة

حاول علماء الشرق أن يرفعوا المنطق إلى مصاف علم الفراسة أو علم النفس ، حاولوا أن يستدلوا به على معرفة دخائل أمور الفرد وطراز تفكيره ، وحاولوا أن يجعلوه سلاحاً ماضياً بأيديهم يسكتون به الخصم ، حتى أطلق عليه الرئيس الفيلسوف ابن سينا « علم الفراسة » فى رسالته « قصة حى بن يقظان »[5] . أما أهل الغرب فكانوا يرون فيه — وعلى الأخص رجال الحكم والسياسة — شيئاً لا يليق بأهل التقى والدين[6]

جواد على

(١) راجع أخبار الحكماء ص ١٣

(٢) راجع Frank. Plato u die. Sog. Pythagoreer. 1923

(٣) راجع Max. Harten. Die Philo. des Islam. S 138 و

(٤) ومن هؤلاء كان فضل الله الاسترابادى وكان قد بحث فى إيران عام ١٣٨٦ عن المعنى والحروف والاتحاد راجع عنه Rozmer. Babi- Bahai. Gipp. moworldl. m. q

(٥) يقول ابن القفطى فى ص ١٣ إنه توفى عام ٣١٩ للهجرة وهذا خطأ يظهر أنه من الطابع لأن الجيلى كان فى عام ٣٤٧ هـ فى العراق كما ذكرنا . كذلك تذكره الكتب بعد هذا العهد أيضاً

(١) توفى عام ٣٣١ هـ ٩٤٣ م . طبقات الأمم ص ٦٦

(٢) طبقات الأمم ص ٦٨

(٣) طبقات الأمم ص ٧٥

(٤) نفس المصدر ص ٧٧ راجع عنه الفهرست لابن النديم ص ٣٦٨ وكتاب تتمة صوان الحكمة للبيهقى (طبعة لاهور ١٣٥١ هـ) ص ١٤

(٥) طبعت هذه القصة عدة طبعات والتى عولنا عليها هى طبعة مطبعة السعادة بمصر عام ١٩١٧ بعنوان (جامع البدائع)

(٦) فى زمان الحاجب المنصور مثلا حيث اضطهد الفلاسفة وأصحاب المنطق راجع طبقات الأمم ص ٦٦ والكتب المؤلفة عن الأندلس

حكم فى القضية ن ١١٦٤ عسكريه ضطا سنة ٩٤١ ضد عبد الله محمد القشن بغرامة ٣ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ٩٤١ وذلك ليمه قمحاً بسعر أكثر من المحدد

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ١١٨٤٥ سنة ١٩٤٠ ضد زكى حسين الوكيل بتغريمه ١٠٠ قرش ونشر الحكم بجريدة الحقائق والرسالة لبيعه كبريت أزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١١٦٥٩ سنة ٩٤٠ ضد محمد حسين سلامه ن ٣٥٥ تسعيرة سنة ٤٠ شارع بواية الوراع ن ١٩ لأنه فى ٨ مارس سنة ٩٤٠ بقسم مصر القديمة باع لحم أزيد من السعر غيابيا ١٠٠ قرش وتعليقه على باب متجره وسراى المحافظة ونشره بجريدتى الثقافة والرسالة على نفقته فى ٢٢ أكتوبر سنة ٩٤٠